المرأة الحقيقية

خطاب لوديع افندي ابو رزق في نادي جمعية الآداب المسيحية

انتدبت سادتي لاقول كلمة في موضوع هو من اهم المواضيع واجلها فائدة لانه مهما قيل وكتب فيه لا يوفى حقه . كيف لا وعلى المرأة يتوقف سير هذا الكون العظيم وفلاح بنيه العديدين والمرأة التي اعنيها بكلامي هي التي تحافظ على اسمها الشريف ولا تتعداه — هي التي عرفت رسالتها على الارض فقامت بواجباتها كامرأة — هي التي ترافق الانسان في جميع اطوار حياته فترضعه في سريره وتنظر اليه نظرة الحب والحنان فيبتسم ذاك الطفل الصغير وتتنمش جوارحه على غير علم منه . وفي الوقت ذاته تشعر امه بسرور مصدره ليس من هذا العالم . وهل من سعادة في هذه الدنيا اعظم من السعادة البيتية التي مصدرها المرأة حياة الشاب ومحور آماله اذ هي تنفخ فيه عزة النفس والشهامة — هي التي تعزيه في شيخوخته وتنسيه الامه اذا لمسته بيدها اللطيفة وعزته بكلامها العذب — هي التي توجد السعادة في بيتها — هي التي تشاطر زوجها افراحه واتراحه وتساعده بقوة عقلها في اشغاله وتكون عونا له في سائر احواله — هي التي تكرس وقتها لتربية اولادها تربية شريفة ولتعتني بهم تمام الاعتناء ليصيروا اعضاء عاملين في هذا الكون العظيم — هي التي تمد يد المساعدة الى المحتاجين وذوي الامراض اذا كانت قادرة على ذلك — هي التي تساعد في جميع المشروعات الخيرية والادبية التي من شانها تقدم البلاد والعباد هي التي قلبها يتكلم ولسانها يصمت — هي التي تتجنب النميمة والاغتياب — هي التي لا تعرف لكلمة عناد معنى ونافيه ما اقبح العناد في المرأة — هي التي تدوس الكبرياء وتتعب في جعل بيتها جنة ارضية حتى اذا عاد زوجها من عمله اليومي تعبا رأى بيته نظيفا وكل شيء فيه يجذبه اليه — رأى اولاده مستعدين لاستقباله بابتسامة ملائكية طبعتها على شفاههم والدتهم الجليلة الفاضلة

تلك هي سادتي المرأة الحقيقية التي عرفت واجباتها وقامت بها كامرأة فهنيئا لك ايتها الوردة المطرة والزهرة البشرية والملاك السموي هنيئا لك لانك جنة الانسان ونسيم حياته والسلم الوحيد الذي يصل به الى اعلى درجات السعادة — هنيئا لك كم نفسك جميلة وكم واجباتك مقدسة وكم هي عظيمة تلك المسؤولية التي القتها عليك امك الطبيعة

قال بسمارك « ان امرأتي هي التي جعلتني ما انا » وقال غلادستون « اني مديون لامرأتي بمركزي »

مهما كان في هذا الكلام من الغلو والمبالغة فانه لا يخلو من الصحة لان المرأة اذا كانت حكيمة عاقلة فانها تساعد زوجها بارائها الصائبة على ارتقاء سلم المعالي ولذلك اقول غير وجل ولا هياب ان عمل المرأة الحقيقية يضاهي عمل ثلاثة من اعاظم الرجال . لان الرجل اذا كان تاجراً يحصر كل عقله لنجاح تجارته وهكذا قل عنه اذا كان محامياً ام طبيباً او مهما كان واذا كان وزيراً يشغل كرسياً واحداً من كراسي الوزارة اما المرأة التي بيتها اشبه بمملكة فانها تجبر بحكم الطبيعة على ان تكون وزير معارف لتثقف عقول اولادها الصغار وتزرع في قلوبهم مبادىء العلم الصحيح ولا تنقل وفتها معهم بعض الحكايات الخرافية كحكايات الغول والضبع والبعبع كما هي العادة في سوريا . وما اشبه هذه المرأة بالتي تخلط قمحها مع الزوان ومن هنا تفهمون سادتي اني اقول بتهذيب المرأة وتعليمها الى حد محدود . ويجب عليها في الوقت ذاته ان تكون بمثابة وزير المال لكي لا تخلي بالمان والالى اي من الضروري ان تتجنب المرأة الاسراف والتبذير وان تصرف ليرة في الاسبوع اذا كان دخل زوجها الاسبوعي اكثر من ليرة بقليل . ويجب عليها ايضاً ان تكون متقنة فن الطبخ لتميز بين المضر والصالح من الطعام وينبغي ان تلون ذات الماء بقوانين حفظ الصحة وبفن الخياطة والنظافة وكل ذلك لا يخفى على الرجل الحكيم العاقل ومن هنالك يتضح لكم سادتي عظم مسؤولية المرأة وخطورة الدور الذي تمثله على مسرح هذا العالم ووفرة الدين الذي لها على الرجل

قال نابليون العظيم « ان اليد التي تهز السرير تحكم العالم » وانا اقول ان على ركبتي المرأة مدار الكون اجمع فهي تربي العالم والشاعر والقائد والسياسي والملك والخطيب والفاتح والمكتشف والمخترع وقد ربت فيما مضى الانبياء العظام والسيد المسيح الحي والحكم

انه لم يكن للمرأة فضل على الانسانية غير ركوعها وانحنائها على سرير طفلها لترضعه من مذوب قلبها وتقبله تلك القبلة المزوجة حباً وحنانا التي هي السحر الحلال وعلة نموه لكفى بذلك فضلاً يوجب على الرجل تكريمها واحترامها بما يقرب من العبادة وما ذلك عليه بكثير اذا كانت تلك المرأة حقيقية وقد نعتها بالحقيقية لان هذه الصفة هي اشرف صفة استطاع نعت النساء بها وحسبها افتخاراً من ان تقدر اللغات على الاحاطة به

يتأكد لكم صدق كلامي اذا قابلتم بين هذه المرأة وبين امرأة اهملت واجباتها البيتية وصرفت وقتها بتزيين ذاتها لتكون اجمل نساء مدينتها وانفقت كل دخل زوجها على ملاذها وعبدت محلات الرقص واللهو والطرب — هذه المرأة سادتي هي جهنم الانسان

وشيطانه كونها تسبب تعاسة زوجها وتعاسة اولادها وتجر ويلاً على بني الانسان وتزيد الدنيا شقاء اذ عندما يعود زوجها من عمله اليومي يرى بيته غير منظم ولا شيء من اسباب الراحة معدّ لاستقباله فيأخذ بالسب والشتم ويالف الخمارات ويفترحبه لمرأته ويستحكم بينهما الشقاق وينشأ الاولاد غادي التربية وهكذا يصبح الشقاء ارثاً في بعض الناس يتوارثه البنون عن الوالدين

وما اشبه المرأة التي لا تكمل الا على جمالها الخارجي بجيش عظيم لا عساكر احتياطية له حتى اذا انكسر ذلك الجيش اضمحل لساعته وقضي عليه وهكذا المرأة التي لا جمال احتياطي عندها واعني بذلك جمال النفس الذي يبقى ذخراً لها اذا ذبل جمال وجهها فالبك ايتها المرأة السورية اتوسل بان تعتني بجمال نفسك واعلمي ان واجباتك عظيمة وعليك يتوقف نجاح البلاد باسرها

وهنا خطر لي ان انبه نساء بيروت اليه وهو المقامرة لان من النساء « الشريفات » من تكل تربية اولادها الى الخادمات وتحيي ليلها ونصفاً من نهارها بالمقامرة فهي اذاً جانية على نفسها وعلى الانسانية معاً وجريمتها اعظم من ان تغتفر لانها عاملة على تأخر الجنس البشري ادبياً وماليا وصحياً وهي جانية التعاسة الى بيتها واولادها والى الكون باسره وقد رأيت هذه الآفة آخذة بالنمو في مدينتنا هذه واخشى ان تسري عدواها الى شقيقاتها فتصبح في حالة تعيسة . والله يشهد ان بلادنا تاعسة كفاية دون ان تزيدها تعاسة والانكى من كل شيء ان المرأة المقامرة تفتكر انها اشرف من غيرها والشرف براء منها لانها تنزل نفسها الى ادنى دركات الحضيض فهي عار على الجنس اللطيف والانسانية مهما كانت منزلتها المالية والعائلية لان المقامرة صفة عار يخجل من ذكرها الرجال فكيف اذا ربات الجمال

ومن النساء من تحب ان تنفصل من حالتها الانثوية وتنتقل الرجال بكل شيء هذه هي المرأة الجديدة العائبة على ربها كونه لم يخلقها رجلاً وكاني بها تحسب نفسها اغزر حكمة من الطبيعة التي انما اوجدتها امرأة لتقوم بواجباتها كامرأة

هذه المرأة هي مقصرة بالجنس البشري اذ توقف نموه وتقتل الحنان في قلب الرجل فانها تصبح تظيره والنظير لا يحب النظير لان الطبيعة اوجدت المرأة تحت حماية الرجل فكيف اذا يجوز لها ان تطلب حمايته اذا سابقته على مركزه وجعلت نفسها نظيره

فلنفرض ان فتاة من اجمل بنات عصرها طلبت ان تنوب عن مقاطعة كلها واخذت تلقي الخطب الرنانة وتظهر رايها في السياسة والحت على الجمهور ليعطوها اصواتهم وقت

الانتخاب و يضروا صفحاً عن فلان الذي تزاحمه افما تخسر بذلك حنان الرجل وحمايته ؟ ولو اتخذ النساء كلهن هذه الخطة (لا سمح الله) لبطل الزواج في العالم وانقرض الجنس البشري وكان سبب انقراضه المرأة الجديدة لا مذنب هلي

المرأة الجديدة كثيرة الوجود في اوربا وامركا لسوء الحظ انما وجودها محصور في الطبقة الوسطى كون الشريفات يتكرن على شقيقاتين التنصل من الحالة الانثوية واعظم امرأة انكرت ذلك على النساء هي المرحومة الملكة فكتوريا جدة الملك الانكليزي الحالي حيث كتبت الى كاتب اسرارها تقول « ان اللادي دبجب ان تجلد كونها طلبت حقوق التصويت اذ كيف يجوز لها ان تطلب حماية الرجل اذا جعلت نفسها نظيره »

وفي بعض ممالك العالم تجد النساء بين المحامين والاطباء وفي الوكالات وعلى منصات القضاء وهن يرشحن انفسهن لعضويات مجالس النواب والاعيان وهذا مضر جداً كما تقدم لان المرأة العاقلة الحكيمة عندها من الواجبات ما يستغرق كل وقتها دون ان تتعرض لمراكز الرجال

تاملوا فيما لو ربي صبي وفتاة معاً منذ الصغر فانهما يلعبان معاً دون ان يخجلا ولكن متى بلغا اشدهما يشعران ان الطبيعة اوحت اليهما سراً خفياً يمنعهما عن الاختلاط كما كانا قبلاً وهكذا تمتنع الفتاة عن اللعب مع رفيقها ولا تعود تخرج خارج بيتها دون ان تستشير امها لترى اذا كانت صالحة لينظر اليها الغير وهكذا قل عن الصبي وهذه حكمة ودهاء اوجدتهما الطبيعة في اولادها من ذكور واناث لتقرب بعضهم الى بعض بامتناعهم عن بعضهم وكلما شبت تلك الفتاة فانها تزيد بتزيين نفسها لتزداد جمالاً وهكذا الشاب ايضاً و يصير اذا رآها ينظر اليها اختلاساً كانه لم يعرفها من قبل ولم يلعب معها وهكذا قل عنها ايضاً انما خضع بذلك على قلبيهما فتشعر بدقات كدقات الساعة قوة وما ذلك الا ليتمما ما خلقا لاجله وهو جذب القلوب فالحب فالزواج شريعة الله والطبيعة والانسان وترى ان الفتاة اذا نظرت الى الشاب سحرته بالحاظها الفتاكة وهو من نفسه يشعر بخضوع تام لجمال المرأة حتى انه يحارب العالم لاجلها هذا اذا لزمت حالتها الانثوية اما اذا احبت التنصل من حالتها هذه فانها تخسر حماية الرجل كما فعلت هند لما حاربت ربيعة بن زيد الاكدم فلما قهرها بعد عنادها نسي حبه وانشد له بها وقال لها انزلي عن ظهر فرسك والا شككت بهذا الرمح صدرك ولو كنت اجمل بنات عصرك